فساد الدماغ مع أنه ليس فيه ولا امتناع من ذلك قال الماوردي لا سيما
على اصولهم في الاشتراك الذي يذكرونه بين الدماغ والقلب وهم يجعلون
بين راس المعدة والدماغ اشتراكا وفيه بسط بينته في شرح العباب
او ايل الخطبة فاذا بان ان صلاح القلب اعظم المصالح وفساده اشد
المفاسد فلا بد من معرفة ما به صلاحه ليطلب وما به فساده ليجتنب
فالذي به صلاحه علوم وهي العلم بالله تعالى وصفاته واسمايه
وتصديق رسله فيما جاوا به مع العلم باحكامه ومراده منها والعلم
بمساعي القلوب من خواطرها وهمومها ومحمودها ومذمومها
واعمال وهي تحليته بمحمود تلك الاوصاف وتخليته عن مذمومها
ومنازلته للمقامات وترقيته عن مفضولها المنازل واحوال وهي
مراقبته الله تعالى او شهوده بحسب نهيئته واستعداده كما مر
في شرح قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه وتفصيل
ذلك في كتب العارفين كالاحيا وقوت القلوب فاطلبه فانه مهم وقيل
ومما يصلحه تدبر القران وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند
السحر ومجالسة الصالحين وراس ذلك الاعظم تحري اكل الحلال واجتناب
الشبهات فانها تورثه قسوة وظلمة وتجره الى الحرام كما مر وقد قال
صلى الله عليه وسلم فيمن غذي بالحرام يقول يا رب يا رب فانى يستجاب
لذلك وقال كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به وروى الترمذي عن
ابي هريرة مرفوعا ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان هو تاب
صقل قلبه قال وهو الران الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله الا وان في الجسد مضغة الخ بعد قوله الحلال بين الخ اشعارا
بان اكل الحلال ينوره ويصلحه واكل الشبهة والحرام يفسده ويقسيه
ويظلمه وقد وجد ذلك اهل الورع حتى قال بعض الاكابر
شربت من ركوة جندي شربة فعادت قسوتها على قلبي اربعين

صباحا

صباحا ثم القلب لغة مشترك بين كوكب معروف والخالص واللب ومنه قلب
النخلة بتثليث اوله مصدر قلبت الشي رددته على بديه والاناء قلبته على
وجهه وقلبت الرجل عن رايه صرفته عنه ثم نقل وسمي به تلك المضغة
السابقة لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه كما قيل وما سمي الانسان الا
لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب وفي الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها
الرياح لكنهم التزموا فتح قافه فرقا بينه وبين اصله ومن ثم ينبغي للعاقل
ان يحذر من سرعة انقلاب قلبه فانه ليس بين القلب والانقلاب الا التفخيم
رواه البخاري ومسلم وقد اجمع العلماء على عظيم موقع هذا الحديث
وكثرة فوايده اذ منها الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والامساك عن
الشبهات والاحتياط للدين والعرض وعدم تعاطي ما يسيء الظن او يوقع
في محذور والاخذ بالورع وانه لا ورع في ترك المباح وسد الذرايع
والترف منه المالكية وتعظيم القلب والسعي فيما يصلحه ويفسده وانه
محل العقل وان العقوبة من حسن العناية وضرب الامثال للمعاني
الشرعية العملية وان الاعمال القلبية افضل من البدنية وانها لا تصلح
الا به وغير ذلك وانه احد الاحاديث التي عليها مدار الاسلام لانه
صلى الله عليه وسلم نبه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس
وغيرها وعلى انه ينبغي ان يحافظ على صلاح ذلك وخلوصه من
الشبه ليحمي دينه وعرضه وحذر من موافقة الشبه واوضح
ذلك بضربه لذلك المثل العظيم ثم بين اهم الامور وهو مراعاة
القلب الذي بصلاحه تنصلح ساير اموره الظاهرة والباطنة وبفساده
تفسد جميعها ومن ثم قيل حمل طايفة هذا الحديث ثلث الاسلام
او ربعه استنزواح والا فلو امعنوا النظر فيه من اوله الى اخره
لوجدوه متضمنا لعلوم الشرع كلها ظاهرها وباطنها لانه بين
فيه الحلال وقسماه مع ما يتعلق بها مما اشرنا اليه في شرحها وصلاح
القلب وفساده واعمال الجوارح التابعة له والورع الذي هو اساس

Copyright King Saud University